فى مجلات الشرق

أرستقراطية الأدب

مجلة « اليتيم العربى » حمص ـ العدد ٥ ، ٦

يعيب المحرر على الأدب العربى أرستقراطيته التى تنأى به عن تأدية الرسالة التى تقوم الآداب بتأديتها ، فيقول :

« إن الأدب هو صورة الحياة وظلها ، يسايرها أنى مشت ويقيها العثار كلما انحرفت عن جادة الاستقامة المرسومة لها ؛ فان تقاصر الأدب عن تأدية هـذه الرسالة أو انحرفت ظلاله وخطوطه عن مقارها الثابتة استحال الأدب عن غايته وصار ضربا من ضروب اللهو ووسيلة للعبث وتزجية الفراغ .

« وأدبنا العربى — ماخلا القليل منه — مصاب بهـذه الآفة ، والشعراء المتفوقون عندنا لم يستطيعوا فى جميع ما خلفوه من تراث أن ينطلقوا من إسارة القو ، ولهذا لن نجد لهوى خواجل شخصية لـ يشترك فى الاحساس بها أبناء الحياة ، ولن نجد لها صدى إلا فى نفوس الذين يشعرون بها ؛ وإلا فقل لى أن يشعر الجمهور المتعطش إلى التعبير عن خواجله وأحاسيسه بما طفح به ديوان البحترى من أماديح للمتوكل تجعله شخصا هبط من القمر وعاش فى السحاب . وقل أى قلب يصهره الحزن يشعر بالعزاء عند ما يرثى المتنبى أخت سيف الدولة أو أمه وبينها وبين نساء العرب ما بين هذا الرثاء وبين الحزن الحقيقى فى البعد ؟ . . . »

طرافة والابتذال فى الأدب العربى

مجلة « المجمع العربى » (دمشق الجزء ٩ ، ١٠) . يحاول الأستاذ إدوار مرقص نهجاً جديداً فى الحديث عن الأدب العربى ، فيتحدث عن الطرافة والابتذال فيما يخرجه الكتاب والشعراء من فنون الأدب ، فيقول :

« ليس كل ماكان جـديداً فى الأدب يستحق أن يحسب طرفة أو تحفة ؛ فقـد يكون الجديد قبيحاً ، إما لخطأ فيه ، وإما لنبو الطبع والذوق عنه ، وإما لمخالفته الطابع العربى فى كيفية الأداء والترتيب .

« ثم ليس كل ما كان مطروقا فى الأدب يستحق أن يحسب مبتذلا مستهجنا ؛ فقـد يكون المطروق ضروريا لايضاح ما اكتنفه من الكلام ، وقد يكون مقبولا محتملا مماشاة لسياق الحديث فى سذاجته وصراحته . »

ويتنهى الكاتب من مقدمته هذه فى معنى الطرافة والابتذال ـ إلى مايسميه « التوليد » وما يسميه « التنزه » . ويعنى بالتوليد تناول المعنى التافه وتزيينه من بعض نواحيه ، أو تناول الفكرة المجملة وتفصيل شئ من زواياها ، أو الخاطر الناقص وتكميل نقصه . ويريد بالتنزه الارتفاع بالمعنى المبتذل إلى مستوى أعلى يضفى عليه نوعا من الطرافة والجدة .

ثم يمضى بعد هذا التحديد لمعنى التوليد والتنزه فى إيراد الشواهد من شعر القدماء على ما يسميه « تنزها » أدبياً فى المحسوسات العلوية كالشمس والقمر والنجوم وما يسبح أفلاكها . . . وفى المحسوسات الأرضية كالتراب والبحر والوحش وما يجرى فى واديها .

هو بحث طيب ! إن حق لى أن أصفه بأسلوب كاتبه ؛ فانه فيما أراه ضرب من «التنزه» : موضوع قديم فى أسلوب طريف !

المدارس العلمانية

مجلة «المسرة» بطريركية الروم الكاثوليك (لبنان — الجزء ١٠) . يوالى الأب أثناسيوس فرح البولسى بحوثه عن معضلة المدارس ، ويخص هذا العدد بحديث عن « حقوق الدولة وواجباتها فى شأن التربية بنوع الاجمال » .

وهو يرى أن للدولة حقاً غير مباشر على تربية الأولاد — أى حق الاشراف العام — فلها أن تمنع كل ما ينال الأولاد من سوء تصرف أهليهم وكل مخالفة صريحة لقوانين العدل العامة . ولها أيضاً أن تجعل أساليب التربية بنجوة من كل ما يضر بنمو الناشئة الجسدى أو بتهذيبها الادبى أو بتربيتها الوطنية الحقة . فمن حقها — أو من واجبها — تحريم بعض الكتب والمبادئ المفسدة للحقائق الدينية أو التعاليم الفلسفية الراهنة أو للآداب العامة أو الروح الوطنية الصادقة . . .

وحقوق الدولة — فيما يرى الكاتب — مقصورة على الوجهة المدنية من التربية ، وخاضعة لحقوق الأهل ، وهى إلى ذلك حقوق غير مباشرة ؛ إذ أن الحق الأول فى التربية لأولياء أمور الطلاب من أهل وأوصياء ومهذبين . والغاية من التربية عنده فردية قبل أن تكون اجتماعية ؛ إذ كان المقصود منها هو « تكوين الرجل الكامل » . وهى غاية تهم الأمة والوطن ، ولكنها تهم الأفراد بالأكثر إذ يتوقف عليها أمر حفظهم ونموهم فى حياتهم .

وينتهى الأب أثناسيوس من بحثه ليدع للأستاذ قبلان الرياشى الحديث عن مستقبل المدارس فى لبنان بين التعليم الدينى والتعليم اللادينى ، ليقرر أن التعليم المدنى الحديث الذى أقرته حكومات العالم واستنبطه فكر العلماء الأحرار فى المدارس العلمانية هو تعليم مضر بالأحداث وبالحكومة والشعب ولا يصح اعتماد الحكومات عليه !

الطب والأدب

مجلة « الأديب » (لبنان — الجزء ١٢ — ٥)

فى هذا العدد من مجلة « الأديب » يعالج الدكتور نقولا فياض عضو المجمع العلمى العربى بدمشق موضوعاً طريفاً من موضوعات الأدب ، أو من موضوعات النقد ، بالحديث عن العلاقة بين ماينتجه الأدباء من آثار وبين « نفسياتهم » أو تشخيصهم السيكولوجى ، على ضوء الطب النفسى الحديث . وأحسبه يريد أن يخضع موازين النقد الأدبى — إن كان للنقد الأدبى موازين مضبوطة — لما يقرره

الاطباء عن نفسية الأديب الذى يهم النقاد أن يتناولوا آثاره بالنقد والتشريح ؛ فان ثمة علاقة لا يمكن تجاهلها فى النقد — بين حالة الأديب النفسية ، أو العضوية ، وبين ماينتج من آثاره الفنية . وهو فى سبيل بسط هذا الرأى يتحدث عن التدخين والأدباء ، وعن الذكاء والجنون ، ويورد طائفة من الشواهد فى حياة طائفة من الأدباء المعروفين فى شتى أنحاء الأرض ، ويقص آراء طائفة من الباحثين فى حقائق النفس الانسانية ، ثم يتحدث عن النقد الأدبى والطبيب ، وعن الروية والبداهة .

وهو موضوع يحق للدكتور فياض بما اجتمع له من علم الطبيب وإدراك الأديب وتنوع الثقافات أن يعالجه وأن يبلغ فيه مبلغاً ، ولا أريد أن أقول كما يقول فى صدر بحثه :

« وهذا باب آخر ينفتح أمام الطبيب ليفسح له مجال العمل فى ميدان الخدمة العامة . لقد تدخل فى التاريخ فخلع عليه نوراً جديداً بما كشف من أسرار السحر والشيطنة وقراءة الغيب ، وتدخل فى القضاء ففير وجه النظر فى « المسئولية » ، فلم لا يدخل فى الآداب والفن ؟ »

لا أريد أن أقول هذا الذى يقوله ؛ فانه ليعالج فى مقاله ذاك نوعاً من الرأى لعله أخطر من أن يكون القصد منه « توسيع اختصاص الأطباء ! »

على أن فى المقال إلى ذلك اتجاها إلى فكرة ما لعل من حق الأدباء وأهل الفن أن يحسبوا حسابها ؛ لأنها تتصل بذواتهم وحرية اختيارهم لأسلوب العيش الذى يستريحون إليه ؛ فقد خيل إلى أن الكاتب الطبيب يؤيد رأى بعض الذين يقولون إن من حق الجماعة أن تعرض على الأدباء وأهل الفن أسلوبا خاصا من أساليب الحياة تتحقق به مصلحة الجماعة فيما ينتج الأدباء وأهل الفن من آثار ! فهو يقول :

« والقصد من ذلك التدخل فى حياة الكاتب الصحية والعناية بدماغ الأديب أو الفنان بحجة أن أكثر العاملين فى حقل الأدب والفن هم ملك الأطباء لأنهم من المرضى ، مرضى الارادة والأعصاب ، والذى يؤيد هذه النظرية ما يبدو من آثار التقهقر البدنى والعقلى فى السواد الأعظم منهم ، بما يشكون من سوء الهضم والصداع وتهيج الأعصاب المستمر ، إلى عدم الاستقرار الناتج من السهر والاجهاد وقلة المبالاة والافراط فى شرب المسكرات وفى التدخين وضيق ذات اليد أحيانا . . . »

من لى بأن يعرف أصحاب هذا الرأى قصة القروى والدجاجة التى كانت تبيض الذهب !

أعمدة التلغراف !

ويقص الأستاذ عبد الله المشنوق فى هذا العدد من مجلة « الأديب » قصة « البؤس المكتوم » فيصف حادثة رآها منذ عشرين عاما . يوم كان مديراً لكلية المقاصد فى بيروت ، حادثة أب مصدور لا يكاد يجد ما يقوم بحاجات أطفاله الخمسة ولا ما يقوم بحاجة نفسه وهو فى الدور الأخير من أدوار دائه المهلك . وعلم الكاتب من امره ما علم ، فسعى باسمه إلى أهل الخير ، أو من توسم فيهم الخير ، فما منهم إلا من اعتذر بلطف أو بغير لطف ، إلا رجلا واحداً لم يكن من أهل اليسار ، فانه معلم محدود الرزق ، ولكن الحادثة مست وجدانه فنزل عن نصف ما يملك الأب وأولاده الخمسة. ولا يقدر البؤس إلا البائسون !

ويصف الأستاذ المشنوق الحادثة كما رآها وكما سمع حوارها منذ عشرين سنة ، ثم يقول :

« لست أدرى لماذا انتقل فكرى — ساعتئذ — إلى التلغراف . . . لست أدرى ، ولكنى أعلم حق العلم أنى ربطت فى ذهنى هذا الحادث بما يجرى عادة عند ما يرسل إلى أحدنا برقية ؛ فهناك محطة مرسلة ترسل النبأ ، وهناك أسلاك مركزة على أعمدة تنقل النبأ ، وهناك محطة لاقطة تتلقى النبأ . هذا هو التلغراف : المحطة المرسلة هنا هى هذا البائس المصدور وأطفاله الخمسة ، والمحطة اللاقطة هى هذا البائس المعلم ، وأما أنا ، وأما صديقى التاجر المعتبر ، وصديقى الصناعى الكبير ، والطبيب المثرى الكبير — أولئك المعتذرون جميعاً — فقد كنا كلنا أعمدة التلغراف ! »

الوعى العلمى فى الشرق !

ويتحدث الأستاذ « قدامة » فى باب « مكتبة الأديب » بالعدد نفسه عن كتاب ظهر حديثاً فيصفه بما رآه ويعرضه لقرائه على الوجه الذى أراد ، ثم يقول :

« وأحسب أن لو قد نشر هذا الكتاب فى دنيا العرب والاسلام قبل ثلاثين سنة أو قبل عشرين سنة ، إذن لحظى بما هو خليق به من إحداث رجة فكرية تزلزل وتبنى فى وقت واحد . ولكن الكتب على ما يظهر ، ما عادت تجد صداها فى نفوس الناس ، هذه الأيام كما كانت قبل . وهو شىء محزن على كل حال ، ودليل جديد على هذه اللامبالاة التى تطبع حياتنا العصرية ! »

وهى ملاحظة صادقة ليس فيها مبالغة فيما أراه ؛ فانى وإن غيرى من قراء هذه اللغة وكتابها ليشهدون ما تلقاه المؤلفات الحديثة فى العربية هذه السنين من عدم الاحتفال وقلة المبالاة ، على ما تبلغ من التجويد والأناقة فى الفكر والبيان والاخراج . لست أعنى قلة الاقبال على القراءة ، فلعل قراء العربية اليوم أكثر مما كانوا منذ عشرين سنة أو ثلاثين ، ولعل ما تتداوله الأيدى من المطبوعات الحديثة فى هذه السنين يبلغ أضعاف ما كان منذ سنين ، وإنما أعنى الاحتفال بالموضوع وحسن الاصغاء للرأى الجديد والفكر الجديد والانتاج البكر . ليت شعرى أمن ضعف الوعى العلمى فى هذا المشرق هذه السنين ، أم من ضعف الانتاج ، أم هو رد الفعل للأحداث القريبة التى تناولت حياة أهل المشرق أفراداً وجماعات فأخملت فيهم ملكات وأيقظت ملكات ؟

لست أدرى ! ولكن الذى أدريه أن أية نهضة لا يؤازرها وعى علمى ناضج إنما هى نهضة حالم لا يلبث ان يرتد بعد اليقظة الخاطفة إلى نوم عميق !

الرواية حول العالم

« المكشوف » (بيروت ـ العدد ٤٤١)

« إليك بعض تحديدات الرواية فى مختلف أقطار العالم :

« الرواية الألمانية : هى كتاب تجد فيه البطلين يحب أحدهما الآخر منذ الفصل الأول ولكنهما لا يستسلم أحدهما للآخر .

« اما الرواية الفرنسية فتجد فيها البطلة قد استسلمت للبطل منذ الفصل الأول ، ثم يحاولان حتى الفصل الأخير أن يتجاهل كل منهما الآخر .

« وأما الرواية الروسية فبطلان لا يحب أحدهما الآخر ، ولا يصل أحدهما إلى الآخر ، وترى الكاتب يحبر ١٤٥٠ صفحة فى هذا الموضوع مشحونة كآبة وغماً ! »

ترى ماذا يمكن أن يقولوا عن « الرواية » المصرية أو الرواية العربية ، إن قدر للرواية المصرية أو الرواية العربية أن يكون لها مكان بين الآداب العالمية ؟

الأدب العربى الحديث

قرأت فى العدد السابع من مجلة « الغرى » التى تصدر فى النجف إعلانا نشره أديب من لبنان يقول فيه إنه بسبيل إعداد و نشر كتاب عنوانه « الأدب العربى الحديث » يجمع الأصول والمصادر الهامة التى يصح الركون إليها لدراسة الأدب العربى الحديث : خصائصه وفنونه ، وأعلامه فى البلدان العربية وفى المهجر ، ويضم دراسات عن الحركة الاستشراقية فى الغرب وأعلام المستشرقين وآثارهم فى أوربا وامريكا . وهو لذلك يطلب إلى كل أديب من أدباء العربية أو من علماء المشرقيات أن يكتب إليه لمحة وجيزة عن تاريخه ، ومؤلفاته ، وما قد يكون كتبه من بحوث بامضاء غير صحيح ، والمراجع التى يمكن الرجوع إليها لدراسة أدبه . . . الخ

وقلت لنفسى وقد قرأت هذا الاعلان : وماذا بقى من الكتاب لمؤلفه إذا كتب إليه كل أديب عربى وكل مستشرق بما يريد من هذه البيانات ؟ هل يبقى له غير عنوان الكتاب وتقسيم الفصول والحذف أو الزيادة !

ولكنه على كل حال مؤلف يريد أن يستند إلى أساس . وما أكثر المؤلفين الذين لا يستندون — فيما يؤلفون — إلى أساس !